**المحاضرة الثانية**

**نشأة علم البيبليوغرافيا**

**السّنة الأولى ماستر**

**تخصّص لسانيات تطبيقيّة**

ترتبط البيبليوغرافيا إلى حد كبير بإنتاج الكتب، وممّا لاشك فيه أنّ المخطوطات والنقوش والحفريات ظلت فترة من الزمن تمثّل الشكل المعروفة به، ولمّا كان تداولها محدودا لم تكن الحاجة ملحة لهذا العلم، ومع ذلك فقد ظهر عدد محدود منها، وكان من أوائل البيبليوغرافيات التي ظهرت على شكل قائمة تحتوي على مؤلفات لمؤلف معيّن : كتاب عن كتبي " abook about my ouwn books"، للطبيب اليوناني كلود قلن " claude galen"، في القرن الثاني للميلاد، وتبرز أهمية هذه القائمة في تعبيرها عن فكرة البيبليوغرافيا آنذاك.

وفي مصر القديمة يقال إنها نقشت على جدران معبد حورس قوائم من الطين المشوي، وهي عبارة عن فهارس لمقتنيات، أمّا في بلاد اليونان القديمة فقد اهتم الفلاسفة بهذا النوع من القوائم لمعرفة ما ألّفه أقرانهم من الفلاسفة السّابقين، مع تراجم لحياتهم، فكان أشهرها الجداول العظيمة التي وضعها البيبليوغرافي الشهير كاليماخوس callimachus أمين مكتبة الإسكندرية في العصر اليوناني، حيث صنّف فيها مقتنياتها في لفافات من البرديات، على شكل جداول متضمّنة داخل اثني عشر لفافة كبيرة، ومرتّبة إمّا ترتيبا زمنيا، وإما ترتيبا أبجديّا تبعا للموضوعات، أو تبعا للمؤلفين، وقدّم لكلّ مؤلف ترجمة عن حياته، ثم أتبعها بثبت لمؤلفاته.

وتعد بذلك مكتبة الإسكندرية أوّل معهد بيبليوغرافي عالمي حاول جمع تراث الدول المجاورة للبحر الأبيض المتوسط، والشرق، والهند.

وبعد ظهور الإسلام نجد أنّ العرب أسهموا أيضا في رواج النشاط البيبليوغرافي منذ القرون الأولى للبعثة، وكان لهم شرف السبق في هذا المجال، يعود ذلك إلى اتساع الحياة العلمية آنذاك، وتزايد الإقبال على الكتب، ورواج حركة التأليف والترجمة وصحب ذلك كلّه شيوع حرفة الوراقة، وكثرة النسّاخين، هاته الحرفة التي ازدهرت ازدهارا كبيرا في بغداد، بعد معرفة العرب لصناعة الورق، ونقله إلى شمال افريقيا وجنوب أروبا عن طريق إيطاليا والأندلس، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في الثقافة العالمية، ونشر المعرفة. وقد أحصى أحد الرحّالة عام (891م)، في بغداد مائة دار للوراقة في شارع واحد، وكانت هذه المهنة تتجاوز حدود وصف الكتب والتعريف بها إلى بيع الورق وشراء المؤلفات، ونسخها، كما كانت هذه الدور ملتقى للعلماء، والمؤلفين، والأدباء والمثقّفين، والشعراء.

وقد اتخذ النّشاط البيبليوغرافي إبان ازدهار الحضارة الإسلامية عدّة أوجه، حيث نجد إنّ كتب التاريخ والتراث مليئة بأخبار المكتبات وفهارسها، كما يلحظ أن كتب التراجم والسير والطبقات مليئة بأخبار عن المؤلفين وأهم مؤلفاتهم، أما بالنسبة لحصر هذه المؤلفات وتجميعها فقد برز وتنامى في أواخر القرن الثاني للهجرة، وفيما يلي نحاول ضبط أوجه النشاط البيبليوغرافي عند العرب في النقاط الآتية:

**1/ فيما يخص إنشاء فهارس المكتبات:**

لقد اهتم العرب والمسلمون بالكتب والمكتبات، وقد ذكر ابن النديم أنّ أسماء دواوين الشعر في مكتبة قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس كانت مدونة في ثمانمائة (880) صحيفة، ومن المكتبات العربية التي وضعت لها فهارس منظّمة مكتبة بيت الحكمة ببغداد.

وبهذا فإن نشأة المكتبات الزاخرة بالكتب أدّى إلى ضرورة تنظيمها ووضع الفهارس اللازمة لذلك، وكانت الفهارس على نوعين؛ إما في مجلدات تستخدم كالمكتب، فيرجع إليها الباحث من أجل معرفة محتوياتها، وإما أن تكون لائحة أسماء الكتب والمؤلفين معلّقة على مدخل كل قسم من الأقسام.

**2/ فيما يخص كتب السّير والطبقات:**

لقد تضمّنت كتب السيّر والطبقات الكثير من المؤلفات التي وضعها أًصحاب السير المترجم لهم، يقول von Grunbaum في مقال نشره في مجلة "the journal of general education"، "إن مجموعة كتب التراجم التي أنتجها المسلمون لشيئ يدعو إلى الدهشة والإعجاب لكثرتها ودقّتها وما جمعته من مادّة رائعة، إن علماء الغرب في العصور الوسطى ليس لديهم مايقارن بنتاج معاصريهم من العرب في هذا الميدان". ومن أمثلة هذه الكتب نذكر:

- معجم الأدباء لياقوت الحموي ( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): يحتوي هذا المؤلف على تراجم للغويين، والنحاة، والنسابين، والمؤرخين، والكتاب المشهورين، والخطّاطين وكل من صنّف في الأدب.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصبيعة: ذكر فيه المؤلف ترجمة لكبار الأطباء من الرجال والنساء، منذ أوّل ما عرف عن الطب عند الاغريق والرومان والهند، و منذ أقدم الأزمنة.

3 - **فيما يخص الأعمال البيبليوغرافية:**

يعدّ كتاب الفهرست لابن النديم من أشهر الأعمال البيبليوغرافية العربيّة القديمة ذكر فيه المؤلف أسماء العديد من المؤلفين، وأسماء كتبهم في العلوم المختلفة، بشكل منظم، ومبوّب في عشرة موضوعات رئيسة، ومن بين أهم المؤلفين العرب الذين أسهموا في هذا الميدان؛ نذكر على سبيل المثال: - الفيلسوف الفرابي في كتابه إحصاء العلوم

ابن الخير الاشبيلي في كتابه: فهرست ابن الخير، ظهر في القرن السادس الهجري، يرصد أهم الكتب العربية في الأندلس.

- مفتاح السعادة ومصباح السّيادة لعصام الدين أبو الخير ، الملقب بطاش كبرى زادة (ت 1561م).
- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لمصطفى ابن عبد الله الملقّب حاجّي خليفة (ت1656).

وظلّت الفهارس تمثّل -لفترة طويلة- النوع الوحيد من قوائم الكتب، التي عدّها الباحثون قديمة من حيث النشأة من البيبليوغرافيا بمعناها الحديث، هذا الأخير الذي بدأ يتطور في عصر النهضة، وأطلق عليها تسميات متعدّدة منها، كتالوج، لائحة جرد دليل،، وأول من استخدم هذه اللفظة الباحث جابريل نوديه أمين مكتبة الكاردينال مازاران في فرنسا ضمن كتابه الموسوم بـ البيبليوغرافيا السياسيّة الصادر عام1633 حيث درس هذا الكتاب باللغة اللاتينية آثار المؤلفين الذين كتبوا عن السياسة؛ فلاسفة أم مؤرخين.

وكان المؤرخ الفرنسي جان فرنسوا صاحب مكتبة بباريس أوّل من وضّح فكرة البيبليوغرافيا في فرنسا بمفهومها الحديث بتقسيمه إياها إلى فرعين؛ الأول يعود على فن الطباعة، والثاني إلى الكتب نفسها وتاريخها، وفهارسها، وتصنيفها، وقيمتها الذاتية ومؤلفيها.

ويعدّ إصدار الفهرس البطاقي الموحد لبروسيل(brussels union)، أهمّ عمل ظهر مع نهاية القرن التاسع عشر(19)، والذي احتضنه المعهد الدولي للبيبليوغرافيا الذي أنشأ عام 1895، حيث قام بنشر حوالي مليون بطاقة تمثّل أماكن المطبوعات داخل المكتبات الأمريكية.